

أراء أبي هلال العسكري في الترادف

الأستاذ محمد أكرم چودھری

من الجدير بالذكر أن أبا هلال (المتوفى ٣٩٥ هـ) في كلامه عن ١٠٠٠ وحدة من احتمالات الترادف لا يستخدم لفظ الترادف أو المترادف على الإطلاق. وفي أغلب الظن أن أول كتاب استخدم اصطلاح المترادف في عنوانه كان كتاب „الألفاظ المترادفة“ لعلي بن عيسى الرماني (المتوفى ٣٨٤ هـ)؛ وكان ابن فارس (المتوفى ٣٩٥ هـ) أول لغوي طبق اصطلاح الترادف على اتحاد المعنى في كلمتين أو أكثر (١). حسب كلام أبي هلال، لا يقع الترادف في اللغة العربية الا اذا اتتمت كلمتان مترادفتان أو أكثر، إلى لهجات مختلفة. (٢) ويقترح أن الكلمات ذات المعاني المتقاربة ينبغي أن تدرس بدقة في ضوء قواعد وضعت للتمييز بين مثل هذه المعاني. وقد سرد ثمانى قواعد للتفريق بين المعاني وهي التالية:

(١) لا تحتل كلمتان معنى واحداً إن اختلفتا في جهة الاستعمال مثل العلم والمعرفة. فلفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره وأما لفظ العلم فهو يعنى الإدراك العام أو المفصل لشيء. وإضافة إلى ذلك يفهم الفرق بينهما من استعمالهما. فالتعبير: „علمتُ زيداً“، مثلاً وحده لا يشمل على أى إخبار. ولا بد لاحتواء الجملة على معنى من إضافة كلمة أخرى مثل „قائماً“ (٣).

(٢) لا تحتمل كلمتان نفس المعنى إن اختلفتا من جهة صفات المعنيين مثل الحلم و الإمهال . فالحلم لا يكون إلا حسنا والإمهال يكون حسنا وقبيحا .

(٣) لا يتحد المعنى في كلمتين إن كانتا تؤولان إلى مختلف الظروف مثل المزاح والاستهزاء فلفظ المزاح لا يقتضى تحقير الممازح ولا تذليله وأما الاستهزاء فيقتضى ذلك .

(٤) لا يحتمل فعلا نفس المعنى إن تعديا بحرفين مختلفين مثل لفظ ,,عفا,, و ,,غفر,, . فقولك عفوت عنه يقتضى أنك محوت العقاب عنه وقولك غفرت له يقتضى أنك سترت له ذنبه ولم تفضحه به .

(٥) لا تحتمل كلمتان نفس المعنى إن كان نقيض إحداهما يغير نقيض الأخرى مثل الحفظ والرعاية . فنقيض الحفظ الإضاعة ونقيض الرعاية الإهمال .

(٦) إذا تباينت الكلمتان من جهة الاشتقاق فلا يتحد معناهما مثل السياسة والتدبير (٤) أو التلاوة والقراءة . ولا تكون التلاوة في الكلمة الواحدة لأن الأصل تلا يتلو يعنى يتبع أحدا . فتستعمل التلاوة في كلام متتابع . يقال قرأ فلان اسمه ولا يقال تلا اسمه .

(٧) لا تتحد كلمتان في المعنى إن اختلفتا في الصيغة مثل الاستفهام والسؤال . فلفظ الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه ووزن الاستفهام استفعال والاستفعال للطلب . والسؤال يكون عما يعلم وعما لا يعلم .

(٨) لا تتحد كلمتان في المعنى إن اختلفتا في الأصل مثل الحنين والاشتياق . أصل الحنين في اللغة صوت من أصوات الإبل تخرجه إذا اشتاقت إلى أو طانها ثم كثر ذلك حتى أجرى لفظ الحنين على الاشتياق لأن في الكلام يجرى المسبب على السبب أحيانا . (٥)

ويرى أبو هلال أنه إن لم يوجد فارق بين استدالات الكلمات في تطورها خلال فترات مختلفة فإنها لابد أن تكون من لهجات متباينة . فكلمة القِدْر مثلا مستعملة لإناء يطبخ فيه في لهجة البصرة والبُرْمَة في لهجة مكة . (٦) وبالإضافة إلى ذلك يعتبر امكان مرادفة كلمة معرّبة لكلمة عربية صحيحا (٧) كما في رسم و ختم . (٨)

رأى أبو هلال أن الترادف لا يقع داخل لهجة واحدة مبني على الفكرة القائلة باستحالة وضع كلمتين أو أكثر لنفس المعنى في الوحدة اللغوية أو المجموعة اللغوية. وذلك لأن في وجود كلمتين أو أكثر للمعنى الواحد توالد غير مفيد فيها . (٩) يزعم حاكم مالك أن أبا هلال ينكر وقوع الترادف - كما فهمه بعض النقاد - لأنه يعتقد بالتوقيف (١٠) . ولا نجد أي شئ في ,,الفروق في اللغة,, (١١) نستنتج منه أن أبا هلال يعتقد بالتوقيف ومن الممكن أن حاكم مالك انتهى إلى رأيه هذا لسوء فهمه لعبارة أبي هلال (١٢): ,,وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد ويراد بواضع اللغة هنا إما المجموعة التي تستعمل اللغة المعينة أو الفرد الذي يضع كلمة لمدلول. وتؤيد عبارات أخرى لأبي هلال موقفه هذا. فيقول مثلا (١٣) ,,وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه لأن في ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه وبالإضافة إلى ذلك معالجته للمفردات عموما و قبوله بالتعريب و تأكيده بأن التوسع في المعنى قد حدث في عدة حالات كل هذه تدعم رأينا أنه لا يعتقد بالتوقيف وقد قيل إن ابن الأعرابي (المتوفى ٢٣١ هـ) هو أول لغوي أنكر وقوع الترادف في اللغة العربية . وقد فصل تلميذه ثعلب (المتوفى ٢٩١ هـ) الرأي الذي طرحه أستاذه فيقول: إن المترادفات في الحقيقة صفات مميّزة تعود على نفس المدلول منظورا إليه من مختلف نواح (١٤) وأما ابن فارس (المتوفى ٣٩٥ هـ) تلميذ ثعلب فقد وضع هذا الرأي أكثر خلال مناقشته لأسماء السيف المتعددة فيقول (١٥):

«إن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات» (١٦)
هؤلاء العلماء وغيرهم أنكروا حدوث الترادف في العربية بدون
تأمل في حقيقة أن اللغة العربية تتكون من عدد هائل من اللهجات .
فبالنسبة إلى أبي هلال لم ينكر حدوث الترادف في اللغة العربية مطلقا
غير أنه ينكره في لهجة من اللغة . وفي أكثر الظن كان سلفه ابن
درستويه (المتوفى ٣٤٧ هـ) مبدع هذا الرأي (١٧) وفيما بعد عرضه
الإصفهاني (المتوفى ٤٠٦ هـ) (١٨) بقوة. فيقول (١٩) : «وينبغي أن
يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة، فأما في لغتين فلا ينكره
العاقل» .

وطبقا لأراء ابن درستويه و أبي هلال والإصفهاني، لنا أن نوافق
على أن السكين والمذبة مترادفتان حقيقة . وهناك أمثلة كثيرة لمثل
هاتين الكلمتين . يروى في كثير من كتب علم اللغة أن النبي عليه
الصلاة والسلام وقعت من يده السكين و كان معه أبو هريرة، فقال له
ناولني السكين، فلم يجب ثم التفت أبو هريرة وقال ألمدية تريد؟ قال
النبي عليه الصلاة والسلام : نعم . فلفظ السكين من اللهجة الحجازية
والمدية من الأزدية . (٢٠) وهناك مثال آخر يكرّر كثيرا أن رجلا من بني
كلاب أوبنى عامر (٢١) زار ذا جَدَن أحد ملوك اليمن وكان الملك فوق
منصة، فاطلع الرجل إليه - فقال له الملك «ثب» - أي أقعد (بلغة
اليمن) - وفهمه الرجل بمعنى اقفز فوثب من أعلى المنصة ومات .
فوثبَ وقَعَدَ كلمتان مترادفتان ترادفا حقيقيا لكونهما من لهجتين
مختلفتين (٢٢) .

يبدو أن ابن جني كان له نفس الآراء فيما يتعلّق بالترادف . فهو
يقول: «وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن
تكون لغات لجماعات» . كما يروى جدالا جديرا بالاهتمام عن
الأصمعي بين رجلين حول الكلمة «صقر» . نطقها أحدهما بالصاد

والآخر بالسين. فاتفقا على استشارة ثالث. فالرجل الثالث اختلف عن كليهما ونطقها بالزاي. في الواقع كان يمثل كل واحد منهم لهجته الخاصة. (٢٣)

ومن المدهش أن معظم اللغويين العرب المعاصرين انتقدوا أبا هلال انتقادا شديدا على افكاره وقوع الترادف في اللغة العربية على الإطلاق في حين أنه ما فعل ذلك . فمثلا عمر أحمد مختار يضع أباهلال من بين الذين ينكرون حدوث الترادف في اللغة العربية حتى لوجاءت الكلمات المترادفة من لهجات متباينة (٢٤). كما أن ابراهيم أنيس (٢٥) و عبدالحميد الشلقاني (٢٦) و رمضان عبدالتواب (٢٧) وتوفيق محمد شاهين (٢٨) و حاكم مالك لعبيبي (٢٩) وغيرهم يزعمون ذلك أيضا. وفي الواقع نجد في ,,الفروق في اللغة,, أمثلة متعددة لظاهرة الترادف في اللغة العربية بشرط أن تنتمي الكلمات الى لهجات مختلفة. فبحسب كلام أبي هلال الكلمات الآتية مترادفة لأن الكلمتين في كل حالة نشأتا من لهجات مختلفة (٣٠).

قدر و برمة (٣١)؛ صفة ونعت (٣٢)؛ ختم و رسم (٣٣)؛ باسل و بسول (٣٤)؛ مكنه و مكن له (٣٥)؛ موهن و وهين (٣٦)؛ مجد و أمجد (٣٧)؛ دؤل و دؤل (٣٨)؛ سفها و سفاهة (٣٩) ، صفو و صفوة (٤٠) ،

نستطيع أن نلخص آراء أبي هلال في الترادف بالقول انه يعتقد حدوث الترادف إذا ما نشئت كلمتان مترادفتان أو أكثر من لهجات اللغة المختلفة بيد أنه يعتقد أن الترادف لا يقع في القرآن الكريم (٤١) واللغويون العرب المعاصرون الذين يعدون أبا هلال من بين الذين ينكرون الترادف في العربية قد بالغوا في نزعتهم . ولعل دعوتهم القوية الى استخدام الكلمات المناسبة في مواضعها المناسبة خدعتهم. وقد دعا الجاحظ (المتوفى ٢٥٥) (٤٢) وابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦ هـ) (٤٣)

وغيرهم من مؤلفي الكتب عن اللحن الى ذلك من قبل . وتوجد دعوة مماثلة لها في عصرنا هذا في كتابة محمد المبارك وغيره . فمحمد المبارك مع أنه لا ينكر ظاهرة الترادف، يختتم كلامه عن آفات الترادف بقوله (٤٤) : ,,ونحن اليوم بحاجة للتحرر من آفات عصور الانحطاط في ميدان اللغة والعودة إلى خصائص العربية في استعمال اللفظ الخاص و العام كلّ في موضعه اللائق و مكانه المناسب له فحياتنا العلمية تحتاج الى دقة التعبير و تحديد المعاني و حياتنا الفنية في حاجة كذلك لتصور مشاعرنا و أحاسيسنا و مشاهد حياتنا الى هذه الدقة اللغوية ,, (٤٥)

(نقله من الانكليزية الأخ محمد يوسف شو)

طالب بقسم اللغة العربية،

الجامعة الاسلامية العالمية

باسلام آباد)

هو امش

- (١) عمر أحمد مختار، علم الدلالة (الكويت ١٩٨٢م) ص ٢١٦ ,, لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد الا أن يجئ في لغتين، فأما في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد
- (٢) الفروق في اللغة (بيروت ١٩٧٣ م) ص ١٤ و ١٥
- (٣) فتصبح الجملة : ,,علمتُ زيدا قائماً ,, (المترجم)
- (٤) السياسة هي النظر في الدقيق من الأمور، مشتقة من السوس والتدبير مشتق من الدبر (المترجم)
- (٥) نفس المرجع ص ١٣ - ١٩
- (٦) نفس المرجع ص ١٩ وفي معجم لهجات القبائل والأمصار (بغداد ١٩٧٨) ج ١ ص ٢٤٣
- (٧) الفروق في اللغة ص ١٩ يوضح ذلك بقوله ,,مثل قولنا: الله بالعربية وأزر بالفارسية,, . وفي فرهنگ فارسی لدكتور محمد معين (طهران ١٣٤٠ ش) آذر: اسم الله (ج ١ ص ٣٧) وفي لغت نامه دهخدا (طهران ١٣٢٥ هـ) آذر: في بعض المعاجم، اسم من أسماء الله تعالى (ج ١ ص ٥٣)

- والمستعمل المؤلف في الفارسية المعاصرة،، ايذره. أما أزر بالزاي فلم نذكرها المعاجم لكننا إذا عرفنا أن الذال في الفارسية تلفظ مثل الزاي ندرك من حيث جاء الالتباس. (المترجم)
- (٨) نفس المرجع ص ٦٤. يقول إن الرسم فارسي معرب لا أصل له في العربية فيجوز أن يكون بمعنى الختم لا فرق بينهما لأنهما لغتان. وفي المعرب للجواليقي بتحقيق أحمد محمد شاکر (القاهرة ١٣٦١ هـ) : الرُوسَم وقيل الرُوسَم وهو الرسم السدي يختم به. وأضاف المحقق أيضا راسوم وراشوم ورسم وكلها تطلق على الطابع الذي يطبع به رأس الخاية. ص ١٦٠ وما ذكر المؤلف أو المحقق الرسم. وذكر المعجم الوسيط (القاهرة ٢ ١٩٧٧) من هذه، الراسوم والروسوم (ج ١ ص ٣٤٥) والراشوم والروسوم (ج ١ ص ٣٤٧) (المترجم).
- (٩) الفروق في اللغة ص ١٣ و ١٥.
- (١٠) حاكم مالك لعبيبي : الترادف في اللغة (بغداد ١٩٨٠) ص ٢٠٦. التوقيف هو الاعتقاد أن اللغة العربية أو حى الله بها كلها. للتفاصيل انظر المزهري للسيوطي بتحقيق محمد جاد المولى وغيره القاهرة ١٩٥٨ ج ١ ص ٨ - ٢٤.
- (١١) الاسم المتداول لكتاب أبي هلال العسكري هذا، هو: الفروق اللغوية (المترجم)
- (١٢) الفروق في اللغة ص ١٣
- (١٣) نفس المرجع ص ١٣ و ١٥.
- (١٤) المزهري للسيوطي ج ١ ص ٤٠٣ نقلا عن تاج السبكي في شرح المنهاج،، ان كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في الإنسان و البشريان الأول موضوع له باعتبار النسيان أو باعتبار بأنه يؤنس، والثاني باعتبار أنه بادی البشرة.
- (١٥) نفس المرجع ج ١ ص ٤٠١٤
- (١٦) وهناك قصة جديرة بالذكر رواها السيوطي في الزهر (ج ١ ص ٤٠٥) بسند عن أبي علي الفارسي قال،، كنت بمجلس سيف الدولة بجلب وبالحضرة جماعة من العلماء، فيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه : إني أحفظ للسيف خمسين اسما فتسبم أبو علي وقال : ما أحفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف. قال ابن خالويه: وأين المهتد والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي : هذه صفات وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة (المترجم)
- (١٧) حاكم مالك لعبيبي : الترادف في اللغة ص ٢٠٠
- (١٨) اسم الإصفهاني محمد بن الحسن بن فراق، (في تعليق على المزهري ج ١ ص ١٦). ويقول رمضان عبدالنواب لعله أبو علي الحسن بن عبدالله الإصفهاني تلميذ للزجاج (فصول في فقه العربية : القاهرة ٣ ١٩٧٧ ص ٢٨١).
- (١٩) السيوطي في المزهري ج ١ ص ٤٠٥
- (٢٠) عبدالحامد الشلقاني : رواية اللغة (القاهرة ١ ١٩٧٧) ص ٣٣٦ و ٣٣٧ وحسن طاطا: كلام العرب وقضايا اللغة العربية (بيروت ٥ ١٩٧٥) ص ١٠٤. وإبراهيم أنيس في كتابه،، في اللهجات العربية،، (القاهرة ١٩٦٥) يشك في مدى صحة هذه الرواية فيقول إن كلمة السكين مذكورة في سورة يوسف وإن صحايبا من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتصور جهله بمعناها. وإضافة إلى ذلك كان أبو هريرة من قبيلة دوس التي كانت تعيش على مقربة من مكة وكانت لهذه القبيلة علاقات مع قريش حق في الجاهلية. (ص ٦ و ١٧٧)
- (٢١) يعني أنه من عرب الشمال ولو لم يؤكد من أية قبيلة هو. (المترجم)

- (٢٢) إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية (ص ١٧٧) وصحى الصالح : دراسات فى فقه اللغة (بيروت ١٩٧٨) ص ٣٠٠
- (٢٣) ابن جنى : الخصائص بتحقيق محمد على النجار (بيروت ١٩٥٢) ، ج ١ ص ٤ ٣٧ (وللكلام المفصل عن آراء ابن جنى انظر باب تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمعانى فى الكتاب المذكور، ج ٢ ص ١١٣ و باب الاضطراب والشذوذ ج ١ ص ٩٦ . وفى كلامه هذا يبدو أنه يعتقد أن لكل كلمة بمفردها معنى على حدته .)
- (٢٤) علم الدلالة ص ٢٦٧ و ٢٦٨
- (٢٥) دلالة الالفاظ ص ٢٢١ و ٢٢٢ القاهرة ١٩٧٦
- (٢٦) رواية اللغة ص ٣٢٩
- (٢٧) فصول فى فقه العربية ص ٢٧٧ و ٢٧٨
- (٢٨) المستدرک اللغوى : نظرية وتطبيق (القاهرة ١٩٨٠) ص ٢٢٩
- (٢٩) لا يجزم أبو هلال بترادف هذه الكلمات أو بعضهايل يفرق بين معانيها ثم يجوز أن تكون مترادفات إذا اعتبرت عجمية معربة (المترجم)
- (٣٠) الترادف فى اللغة ص ٢٠١
- (٣١) الفروق فى اللغة ص ١٩
- (٣٢) نفس المرجع ص ٢١ و ٢٢
- (٣٣) نفس المرجع ص ٦٤
- (٣٤) نفس المرجع ص ١٠٢
- (٣٥) نفس المرجع ص ١٠٤
- (٣٦) نفس المرجع ص ١٠٩
- (٣٧) نفس المرجع ص ١٨٠
- (٣٨) نفس المرجع ص ١٨٢
- (٣٩) نفس المرجع ص ١٩٣
- (٤٠) نفس المرجع ص ٢٧٩
- (٤١) نفس المرجع ص ٢٩٥
- (٤٢) محمد أكرم جودهري : هل يقع الترادف اللغوى فى القرآن الكريم (مكة المكرمة ١٩٨٥) ص ٣٥
- (٤٣) البيان والتبيين بتحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة ١٩٤٨) ج ١ ص ٢٠ يقول الجاحظ ..وقد يستخف الناس ألقاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها لا يتفقّدون من الألقاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال
- (٤٤) أدب الكاتب (ليدن ١٩٠٠) ص ٢١ - ٤٢ بتحقيق ماكس غرونرت
- (٤٥) فقه اللغة وخصائص العربية (بيروت ١٩٧٠) ص ٣٢١

